

زيارتنا لآثار توت عنخ امون

للاب لويس شيخو اليسوعي

انَّ عَادِيَّاتِ مصر العجيبة التي استخرجها الاثريون من بواطن الارض في قطر النيل منذ نحو مئة عام ادهشت العالم اجمع فكثاً نحن عند سنوح الفرصة لانتالـك عن تتبع ابصارنا بمايتها لتحيط بها علماً - فزرنانا مرّة اولى سنة ١٨٢٧ في متحفها الاول الذي انشأه المَلّامة والناطقة الفرنسي ماريت في بولاق وهو منذ ذاك الحين مدعاة لاندهال العروم

ثمّ انتهزنا فرصة رحلة ثانية الى القطر المصري سنة ١٨٨٥ لنبور المتحف الجديد الذي نُقلت اليه تلك العاديّات في الحيزة في مبراي الحديوي الجليل اسماعيل باشا فكان منظرها يبهو الابصار لحسن تنسيقها في ذاك المامهد الملـكي الفخم مع ما أُضيف اليها من المكتشفات الحديثة

وقد زرناها قبل عشرين سنة في متحفها الحاضر في قصر النيل حيث تشيّدت له تلك الابنية الواسعة ذات الهندسة المحكمة والواجهة الرائعة في ساحة رجة الارجاء. فعُرِضت في معاهدها الالوف الموائمة من العاديّات المصرية العجيبة لتاريخ مصر القديم من الالف الرابع قبل الميلاد الى اواخر العهد الروماني بعد المسيح. وقد سبق جناب الاديب توفيق أفرح ونشر في المشرق (٥ [١٩٠٢]: ١١٠٤-١١١٢) وصف هذه دار العاديّات مع صورتي رسمها وراحتها. فكان الزوّار يتقاطرون اليها من كلّ صوب وفج

ولم نشأ ان نحرم نفسنا في رحلتنا الحديثة الى عاصمة مصر من النظر الى المتحف المذكور لرؤية تلك الكنوز التي استخرجت من مدفن الفرعون توت عنخ امون رجاء ان نعرض لقراءتنا شيئاً من تلك الآثار التي اهتـرّ العالم طرباً لاكتشافها. وما نحن بنورد هنا ما رفقنا عليه مباشرين أوّلاً بذكر الفرعون صاحب الجواهر وبيان خلاصة اخباره

١ من هو توت عنخ امون

هو احد ملوك مصر الفرعنة من السلالة الثامنة عشرة التي حكمت على مصر بعد انتصارها على سلالة اجنبية سامية تُعرف بالهكسوس او الرعاة التي في ايامها وقعت الحوادث التي سطرها سفر التكوين عن ابراهيم ويوسف . وكان المنتصر عليها الفرعون احسن الوطني الاصل في السنة ١٥٨٠ قبل المسيح وكانت هذه السلالة من اعظم سلالات مصر جاهاً واقواها شوكة ضببطت ازمة الملك مدة ٢٣٠ سنة وجمعت كرسي مملكتها في طيبة في الصعيد وفي عهدها بلغت مصر اوج عزها . وقد امتاز بين ملوكها الثلاثة عشر الفرعنة تحوتس الثاني وتحوتس الثالث وامينوفيس الثاني وامينوفيس الثالث فنزوا بلاد النوبة وفتحوا الحبشة وتخطوا الى بلاد فلسطين وسورية حتى عبروا الفرات وبنوا الى نينوى ودخلوها واخذوا ملوك اشور فصار لمصر الحكم الراجح في كل تلك الاقطار . وقد ثبت الملك في جانب هذه السلالة الى السنة ١٣٥٠ ق م

اما توت عنخ امون فكان من اخر ملوكها توتاً العرش من السنة ١٣٥٨ الى ١٣٥٢ فصار الحكم بعده بزمان قليل المدولة التاسعة عشرة

تولى الامر في ايام مضطربة وفي احوال حرجة وذلك بسبب ما وقع من النزاع بين سانه امينوفيس الرابع المالك من السنة ١٣٧١ الى ١٣٥٧ ق م فهذا الفرعون كان مقامه في طيبة التي كان يكرم فيها الاله امون يعتبرونه كالاله الاعظم ينسبون له السيطرة على آلهة البلاد كالاله فتاح اله منف والاله رع اله عين شمس . وكان لكهنوته نفوذ عظيم في سياسة المملكة حتى زاحوا الفرعون في سلطته السامية في عهد تحتمس الثالث فرأى خلفه امينوفيس الرابع ان لا نجاة من سطرتهم إلا بانتقاله من مدينة طيبة الى مركز آخر فتحوّل عنها بجاشيته الى ضفة النيل الشرقية في مصر الوسطى قريباً من اسيوط على مسافة ١١٠ ميلاً من القاهرة فابتنى له حاضرة جديدة واختار لحايتها إلهاً جديداً فعبد الشمس واتخذ قرصها وشعاعها كشعاره وهو الاله آتون فبدل اسمه امينوفيس اي حبيب امون بنحون آتون اي قرص الشمس ومثل نفسه بالنشوش قائماً بازاء الشمس المشعة يقدم لها قربانه ويترنم بتسابيحها مطرباً نورها

وحاراتها وإحياءها للطبيعة وأهل عبادة الإله امون لا بل تبرأ منه وفاجزهُ حرباً عواناً فامر بتدميرها ككلٍ والفاء عبادته وبذلك اعتق نفسه من سيطرة كهنته . وعزز في مدينته الجديدة عبادة الإله اتون ودعا باسمه مدينته خوت نيباتون أي افق قرص الشمس وافرغ جهده في تمصيرها وترتيبها بالابنية الجميلة من معابد دينية شاهقة ومباني مدينته باذخة

ولا يزال منها بقايا جميلة الى يومنا ومكانها يُعرف بتل العمارنة حيث وجدت منذ ١٠ سنة تلك الآثار الكتابية الجليلة التي وصفها حضرة الاب لامس في الشرق في سنته الثالثة (راجع كتابه تسيح الابصار ١ : ٧٢-٨١) لكن كهنة امون ناصبوا الملك بكل قواهم لئلا يفقدوا متزلتهم السامية

أما امينوفيس الرابع (اخن اتون) فثبت على كسر شوكتهم الى آخر حياته واراد ان يسير خلفه على آثاره لكنه لم يولد له ولد ذكر وإنما كان له ثلث بنات زوج الاولى المسماة مريت اتون اي محبوبة اتون باحد اعيان مملكته المدعو سمنح كارع ورثعه للملك بعده وماتت الثانية صغيرة وقرن بالزواج ابنته الثالثة انخ سن اتون بتوت عنخ امون . وتوفي سمنح كارع بعد قليل وصار توت عنخ امون ولي العهد وكان اسمه وقتئذ توت عنخ اتون اي صورة الشمس الحية . فقبض على زمام الملك وهو غلام يافع لا يتجاوز سنه اثنتي عشرة سنة فحكم في مدينة خونتياتون ثلث سنين لكنه شعر بمقاومة كهنة امون لحكمه وتهيجهم اهواء الشعب عليه فرأى انه لا ينجو من شرهم إلا بان يعود الى مدينة طيبة ويتعبد للإله امون ويضرب الصفح عن اتون . فكان لفعله هذا صدى استحسان في الشعب وغير اسمه توت عنخ اتون بتوت عنخ امون اي صورة امون الحية وسعى باعادة السلام في القطر المصري وبتشديد الهياكل والتقصير الفخمة كالافيه . لكنه ما لبث ان ودّع الحياة ممثلاً ببدء السل وهو في الثامنة عشرة من عمره

٢ مدفن الملك توت عنخ امون

مات الملك توت عنخ امون في طيبة ودُفن بعد تحنيطه في المدافن الموكية في وادي الملوك ودُفنت معه جواهره . وكانت عادة الفرعنة اذا جلسوا على عرش السلطان

ان يفكروا قبل كل شيء بمجياتهم في الآخرة بعد الموت لاعتقادهم خلود النفس فكانوا يشتدون الاحرام لهذه الغاية ويختارون لهم مدفنًا يزيتونه باصناف الكتابات الهيروغليفية من كتاب الموتى والنقوش الثنية المشيرة الى احوال النفس في حسابها وثوراتها وعقابها. ولئلا ينهك اللصوص حرمة المدفن كانوا يحتاطون له بانواع الوسائط والحيل ليبقى مجهولاً الى آخر الدهر وكانوا مذ ذاك الحين يشغلون صنعة مصر ليصطنعوا لهم أبدع الآنية واجمل الحلي واثمن الرياش وكل شارات الملك الزدانة بأفخر الحجاره الكريمة والمعادن الثمينة التي لا تُرى في غير قصور الملوك حتى اذا مات الفرعون جعلت تلك الطرف معه في مدفنه.

ألا ان تلك المدافن على الرغم من الساعي في إخفائها في بطن الارض لم تنج غالباً من مطامع اللصوص الذين لم يذخروا وسماً في اكتشافها حتى وقفوا على اسرارها ونهبوها ولم يدعوا في الغالب غير التواويس التي لم يكنهم نقلها وفيها اجساد الملوك المحنطة التي تروى اليوم في متحف قصر النيل مع قسم من الجواهر التي نجت من سرقة منتهكها.

وفي القرن السابق والعشر الاول من القرون الحاضر تمكن الاثريون من اكتشاف معظم مدافن اولئك الملوك بعد التنقيش الطويل لا كان يحول دونها من الاحتياطات لكم اسرارها.

وكان ارباب البحث قد قطعوا الامل من وجود مدفن جديد لولا حرص احد علماء الانكليز اللورد كرنارفون على مراعاة التنقيش في وادي الملوك وبصحبه احد الباحثين من ذوي الذكاء والثبات في العمل المستر كارتو. فكان جزاء تلك المهمة القمصاء اكتشاف مدفن توت عنخ امون.

ومن حسن الحظ قد نجا هذا الميت من جشع اللصوص الذين لم يقفوا إلا على حجرته الخارجة فنهبوا كنوزها دون ان ينهكوا باطنه وغرفة الداخلية حيث وجدت معظم كنوز هذا الملك وجواهره بتمامها مع جسده في تابوته المحكم الصنع ولعل هذه الكنوز او من كنوز بقية الملوك المفقودة لان هذا الملك لم يخلفه احد من ذريته فرضمت كل طرف بلابله معه دون ان يختص الخلف منها بشيء.

نفسه. ومن المحتمل ايضاً ان كهنة امون ارادوا البالغة في اكرامه لرجوعه الى طيبة عاصمة مصردهم امون

ومما يمتاز به هذه الكنوز انها جامعة بين صناعتين مختلفتين صناعة طيبة وصناعة تلّ العمارنة فانّ مصنوعات طيبة اجمل وابهى من مصنوعات تلّ العمارنة لكنها دونها دقّة في تمثيل الطبيعة ومحاكاة حقيقة الرثيّات في الكرون فجاءت كلتاهما شاهداً على براعة قدماء المصريين في الفنون الجميلة

كان أوّل يوم اكتشافها في ٥ تشرين الثاني ١٩٢٢ فاقضى لفتح المدفن وغرفه الداخلية ومعاينة ما يحتويه من الآثار العجيبة ونقلها بكل حرص وعناية الى متحف قصر النيل نحو ثلث سنين بمراقبة العلماء والاثريين الفرنج والمصريين وهي تُعدّ بالثبات. وفي تلك الاثناء استأثر الله بالورد كرنارفون فمات كما يقال مسووماً بلسعة ذبابة سامّة

٣ كنوز توت عنخ امون

قد عُرضت هذه الكنوز في الطابق الاعلى من المتحف المصري في جهة الشمالية الشرقية وهي تشغل قسماً كبيراً من المتحف بعضها في حُجُر خاصة وبعض في خزانات زجاجيّة وغيرها في سوا المتحف لم ينقصها سوى النازوس الكبير الذي كانت فيه التوابيت المودعة فيها جثة الملك. وبقيت تلك الجثة مع النازوس المذكور في مدفنها لصعوبة نقلها سليمة الى المتحف وقد أصيبت بالبلى لقدم غدها وتأثير الخروط في اعضائها ولقائها

ومن المستحيل ان نصف هنا بل ان نعدّد كل افراد الكنوز المستخرجة من مدفن توت عنخ امون وانما نذكر فقط اخصّ ما يوقف قراءنا على تلك الجواهر ونقسم ذلك ابواباً تسهلاً للوقوف على ضروبها واصنافها

هو جثة الملك ولقائمه وتوابيته كانت جثة الملك توت عنخ امون محنطة كما اعتاد ذلك المصريون في تجهيز جثث الملوك قبل ان يضجروها في التابوت وقد لُقت بضروب الانسجة الثينة المطرزة المزركشة المرصعة بالحجارة الكريمة. وكانت هذه اللقائف قد لصقت بالجثة فلم تُتزع عنها إلا بعد الجهد الجليل وقد بلغ عدد تلك

الصدريات الجميلة تسعاً . وكانت كل اعضاء الجسم مزدانة بالحلي والخاروف . فكان على رأسه تاج ملكي يتألف من عصابة ذهبية عليها نقوش بديعة من الذهب ومطعمة بالعميق في اعلاه شعار الملك وهما النسر والتعبان المقدس (uræus) المشار بها الى حكمه على قطري مصر الاعلى والبحري . وعلى وجهه قناع ذهبي عليه صورة الملك في غاية الاتقان وكان حول عنقه تاجم ثمينة تمثل آلهة مصر المراقبين للموتى . وعلى صدره قلاند عديدة لا يُقدَّر ثمنها محبوك على اجمل طراز وايهى شكل . وكان يزين ذراعيه عدد عديد من الأسورة الثمينة ولاصابع يديه غلافات ثمينة مع خواتم بديعة . وفي وسطه نطاقان من الذهب الخالص أسند الى كل منها خنجر ذو شمل عجيب . وفي رجله حذاءان ذهبيان ولكل من اصابع رجله غمد من الذهب كأصابع يديه وكانت الجثة في ثلاثة توابيت داخلة في صندوق كبير من خشب الارز الزردان بصور الالهة المختلفة بعضها على شكل بني البشر وبعضها على شبه الحيوانات الرمزية . والتوابيت على شكل صورة الانسان (anthropoïde) تالفا المحتوي للجثة يتألف من صفائح الذهب الخالص باطنه محفور حفراً ثنياً عجيباً وجوانبه مثلة للملك في هيئة الاله اوزيريس في يد الدولجان والسوط على جانبيه آلهة مصر وعلى جبينه شعار الفراعنة . وهناك نقوش مدهشة مثزلة بالطين وذات الالوان البهية مما لا يكاد يبلغ صنع مثله احذق الجوهريين في عهدنا . وكان هذا التابوت ضمن تابوت آخر من الخشب النالي الثن المنقش بالذهب وهو مرسع باصناف قطع من الزجاج المختاف الالوان النعم والمعجون عجناً ثنياً

﴿ صور توت عنخ امون ﴾ بين كنوز هذا الملك عدد لا يحصى من صورته فنها ما يثله صغيراً ومنها ما هو على كاهن الطيبين . يرى منتصباً . وغيرها يثله نصفياً وفي بعضها يرى مع الملكة زوجة . ومنها ما جعلت صورته على شبه احد آلهة مصر . ويرى في بعضها بازاء معبود الاله الشسي اتين الذي تشع من قرصه اشعة تنير الملك . وفي غيرها قد شُخص منتصباً على اعداء الدولة او قابلاً الجزية من الشعوب الخاضعة للملك مع تصاوير هباتهم وهدايا رؤسائهم على ابدع ما يكون . ومن صورته ما يثله في سيره حاشياً او راكباً عجلته المكيئة او في هيئة الصيد وكل ذلك دلائل باهر على ما اتصلت

إليه مدينة المصريين في ذلك العهد وعنايتهم بكل الفنون الجميلة

﴿شماثر الملك﴾ قد عُرِضَتْ هذه شماثر المستخرجة من مدفن توت عنخ امون في الطابق الأعلى من متحف قصر النيل متفرقة بعضها في الخرائات وبعضها في الحجر المختلفة أو الاروقة. منها تيجان متعددة كان الملك يلبسها على اختلاف المجالس وهي على طُرز بيئة غاية في الجلال

ومن شماثره عرشه الملكي الذي يعتبر كتخضة فريدة في جنسها وهو مصنوع صنماً بديعاً يعجز اللسان عن وصفه ظهره مرصع بأحجار كريمة مختلفة الألوان وعلى مسنديهِ صورة حيتين مجنحتين. وهناك صورة الملكة بازاء الملك وفي يدها كوب تقدمه لزوجها وفوقهما قرص الشمس الشعنة

ومن شماثره الملوكة الصرلجان وقد عثروا له على صوالج مختلفة على اشكال متباينة تنتهي رؤسها بمقابض ملتوة كالمكايك ويمثلة لاشخاص أو حيوانات بعضها من الذهب الخالص أو هي محلاة بالذهب منقطة بضروب الحلي

ومنها السُرط المشير لعقاب اعدائه منه امثلة شتى ومعظمها يتألف من عود متين منسج بالذهب مقبضة من البرونز المذهب يملوه سبائك ذهبية وزجاجية

ومن شماثره أيضاً وشاح ملكي يتركب من ٣٨ قطعة لينة من الذهب مشبك بعضها ببعض وهي مفرغة قد افورغ في وسط كل منها زجاج ملون وهي تحيط بباز وتمثل اجنحة في طيرانه وذلك من اغرب المناظر الفتانة. وبينها اوشعة اخرى تأتقوا في تركيبها اوصورها ما شاؤوا

وكذلك شمار الملك السابق ذكره المشل للحيّة والنسر وُجد منه عددة قطع فيكون اماً وحدهً واماً مركباً مسبكاً بقطع ذات اشكال بيئة

﴿الاناث الملكي﴾ وجد في مدفن توت عنخ امون مجموع ما يتباهى به الملوك من اصناف الاناث. فن ذلك الأسرة الملكية وهي من الابنوس وضروب النقوش والتصاوير. فترى الأسرد تسندها والآلهة تحرسها. وهناك سرير للملك عرضت عليه



توت عنخ امون وقرينته
في زمن اكرامها للاله اتون (قرص الشمس)

جنته وهو بمنتهى الجمال بنقوشه وقائليه وضروب اشخاصه ورموزه
ومن الاثاث الملوكة اجناس الكراسي الفخمة والمانعده والمشكآت المختلفة
الحجم والمهية والزينة وكأها اهله بدور الملوك
وكذلك العلب اللطيفة الجميلة المزدانة بالصور والزهور البديعة لجميع حاجات
الملوك وزينتها . ومثلها الآنية البيتية بعضها من الرخام المزدان بالذهب والعاج وبعضها
من الذهب المحلى بالينا عليها صور الحيوانات والزهور من ابداع ما يكون
ومثلها ايضا المصابيح والسرر من المرمر الابيض الشفاف راكرة على آنية ثمينة
ذات الصناعة القريده

وكان بين المكتشفات مزهرية بزهورها وسراوح وعدد وافر من العصي
باشكالها اللطيفة وحسن تزيينها تأخذ بجوامع الابصار . ووجدت ايضا ادوات
موسيقية وغيرها

❖ الآثار الدينية والعلمية ❖ ولم يخل مدفن توت عنخ امون من الآثار الدينية
والعلمية . قد استخرج منه امثلة لعظم الهة المصريين كايوس واوزيريس وحورس
وانوبيس فنها على صورة الآدميين ومنها على صورة حيوانات وطيور مختلفة كالاله
اييس (الثور) والاله فتاح والاله اتون . بل وجدت صور الهة كانت بحولة قبل هذا
العهد كالاله مامو والاله سند . ووجدت ايضا الجملان او الخنافس الرمزية مصروعة
من معادن شتى

اما الآثار العلمية فقد وجدوا في مدفن توت عنخ امون لفائف كثيرة من البردي
المكتوبة بالخط الهيروغليفى ويرجى من مطالعتها افادات تاريخية وعلمية . هذا فضلا
عما استفادوا من تلك الآثار لمعرفة احوال المصريين في دينهم ودنياهم ولاسيما للوقوف
على قننهم الجسيلة

فن هذا النظر الاجمالى يمكن القراء ان يتبينوا قيمة هذه الكنوز ويدركوا
سبب اعجاب العالم باكتشافها

